براديغم التعقيد عند ادغار موران

paradigm of complexity at edgar morin

د. فاهم بن عاشور ، دكتوراه ، فلسفة حديثة ومعاصرة [1]
[1] جامعة الجزائر2
البريد الالكتروني: fahemben@hotmail.com

تاريخ الاستلام : 2018-11-19؛ تاريخ المراجعة : 2023-03-05 ؛ تاريخ القبول : 2023-03-31

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى إلقاء الضوء على فلسفة التعقيد أو ما يسمى ببراديغم الفكر المركب عند المفكر الفرنسي **ادغار موران-** حيث يقترح أنموذج فكري جديد كبديل لمنظومة الاختزال التي هيمنت على الخطاب العلمي والفلسفي والمنهجي المعاصر، و تجدر بنا الإشارة في هذا المقام القول أن الفكر المركب هو منهج فكرى جديد يهدف إلى إصلاح المنظومة الفكرية عبر وضع التعقيد كفكرة مركزية، و يتطلب الأمر هنا الوقوف على ابرز المفاهيم المشكلة لفكر التعقيد، انطلاقا من الأطروحة المركزية التي تنظر إلى موضوعات الفكر من زاوية التعقيد. يقوم البراديغم الفكري الجديد الذي يقترحه **موران-** على فكرة أساسية ومحورية تتمثل في القول أن جوهر العالم هو جوهر معقد، بمعنى انه جوهر غير قابل للتمثل، في حين أن التعقيد هو الحوراية بين الاستقرار/ الاختلال/ التنظيم، وتكمن فضيلة التعقيد في إدانة ميتافزيقا النظام. ليكون التعقيد عبارة عن مبدأ يقوم على ضبط العالم من خلال الاعتراف بتداخلاته وتشابكاته واختلالاته التي يستحيل تمثلها في قوانين أولية بسيطة، كما كانت تحاول العقلانية الغربية الاختزالية. وفقا لهذا التصور يقبل موران- بالتعقيد كمبدأ للفكر ينظر إلى العالم في حد ذاته وفق الحوارية و التنظيم الذاتي و المبدأ الهولوغرامي.

الكلمات المفتاحية: التعقيد- الفكر المركب- الحوارية المنطقية- الهولوغرام- التكرار التنظيمي.

Summary:

This article aims at shedding light on the complexity of the philosophy of complexity. It is necessary here to identify the most important concepts of complexity, from the central thesis that examines the subjects of thought from the point of view of complexity. Moran's new intellectual paradigm is based on a central and central idea that the essence of the world is a complex essence, in that it is an inarticulate essence, whereas complexity is the dialogue between stability / imbalance / organization. To be complex is a principle based on controlling the world through the recognition of its interferences and complications and imbalances that can not be represented in the laws of simple primary, as was trying to Western rationalism reductionism. According to this perception, Moran accepts the complexity as a principle of thought that views the world in its own right according to dialogue, self-organization and hologram principle.

Keywords: complexity - complex thought - logical dialogue - hologram - organizational repetition.

1- مقدمة:

إن تحول التعقيد إلى فكرة مركزية في بساط البحث الفلسفي والعلمي والابيستمولوجي، بعدما كانت فكرة هامشية، يعد تحول نوعي في تطور الفكر البشري، لقد كان الفكر التقليدي خاضعا لقبضة الميتافيزيقا التي تأسست على نوع من الخطاب الانتقائي، الذي يعمل على إظهار اليقين في مقابل نفي اللايقين، يشيد أبحاثه المعرفية على مبدأ عدم التناقض، بالتالي يلغي كل مظاهر الاختلال والتباين والتناقض التي تطبع عالمنا الطبيعي والإنساني. حيث تأسس العلم الكلاسيكي على نموذج فكري يقوم على مجموعة من التصورات والمبادئ والمسلمات التي من شانها أن تعمل على الترييض والصورنة، ورد الوقائع واختزالها في علاقات صورية وضرورية ونهائية، طبعا كانت نتيجة هذا الأسلوب المنهجي دخول المنظومة المعرفية في أزمة وبالتالي الاعتلال الفكري، بسبب ممارسة العقل الغربي لعملية الفصل والتبسيط والاختزال لمركب العالم، لهذا وجد العلماء أنفسهم أمام تحدي كبير هو البحث عن نموذج وبراديغم فكري جديد، قادر على الاعتراف بالتعقيد، بالتالي مواجهته. و يعد **ادغار موران-** احد هؤلاء المفكرين الذي حاولوا البحث عن هذا النموذج الفكري الجديد، أين يكون التعقيد الفكرة المركزية والأساسية، في الأبحاث العلمية والفلسفية، ومن هنا نتساءل: **على أي أساس صاغ موران القطيعة للبراديغم القديم ؟ وما هي مبادئ الفكر المركب؟**

لأجل المقاربة الفلسفية للإشكالية والإحاطة الكاملة بحيثياتها الجزئية، استخدمنا المنهج التحليلي، بالتوجه إلى قراءة واستقراء النصوص الأصلية، لنبين ونقدم صورة واضحة عن الفكر المركب، أسسه ومبادئه.

2- العرض:

إن ما يميز الإنسان عن باقي الكائنات الأخرى هو العقل **la raison** ، وهذا ما يتحدد في إنتاج الأفكار، إذن كما قال ديكارت: الإنسان كائن مفكر، ويتمثل الفكر الإنساني في ذلك المجموع الهائل من الأفكار التي أنتجها العقل البشري خلال حقبات تاريخية متعاقبة، أين بدأ الإنسان يسجل ملاحظاته عن ذاته ومحيطه وعالمه، وقد استطاع الإنسان بفضل هذا الإنتاج الفكري أن يسيطر على الطبيعة ويخضعها لمصالحه وخدمته، عبر عملية تنظيم منهجية مؤسسة على مبادئ وقوانين كلها تهدف في الأساس إلى فهم الكون وتفسيره.لذلك قام الإنسان بممارسة عملية التبسيط والفصل والاختزال على موضوعات الفكر، وقد كان هدفه الأساسي جراء هذه العملية هو الفهم الجيد للعالم والإنسان. غير أن منهج التبسيط، قد تعرض لانتقادات عنيفة من طرف المفكرين بحجة انه منهج يبسط بقدر ما يعقد مهمة فهم الكون. ويعد المفكر الفرنسي **ادغار موران-** احد المفكرين الذين انتقدوا منظومة التبسيط ، حيث حاول تقديم براديغم فكري جديد كبديل لمنظومة البساطة.

لقد ركز المفكر الفرنسي ادغار موران- على تبيان خاصية تعقيد العالم والإنسان(موضوعات الفكر)، مما يستلزم منهجا جديدا يتطابق مع هذه الخاصية، وهذا ما جعله يعيد النظر في الكثير من المفاهيم الأساسية التي تشكل الخطاب الابيستمولوجي والفلسفي على حد سواء، خاصة مفهوم النسق، النظام، المعرفة، البراديغم، الأخلاق وغيرها، وقد كان هدفه الأساسي الانتقال إلى نموذج فكري جديد، يعترف بطابع التعقيد الموجود في العالم والإنسان.

نشير إلى أن **موران-** أثناء قراءته للحقل العلمي والفلسفي قد أقر بهيمنة منظومة التبسيط التي قامت بتنظيم الكون عن طريق اختزاله في مبادئ ثابتة ومغلقة، ترفض التناقض والتحول واللايقين، هذا ما جعله يستشف ضخامة الإصلاح المنظوماتي للفكر الذي يعني الخروج من ابيستمولوجيا وانطولوجيا التبسيط إلى فضاء فلسفي وعلمي ومنهجي وأخلاقي، هو فضاء الفكر المركب. إذ يؤمن أن التحدي الأكبر للعلم المعاصر يتمثل في تغيير أسس الكون عن طريق تغيير أسس التفكير في الكون، ومادام الكون مركب ومعقد، لابد إذن من انطولوجيا و ابيستمولوجيا مركبة.

إن منظومة التبسيط فيما يرى **موران-** باتخاذها النظام والثبات قد قامت بكبت حجم هائل من الأسئلة المتعلقة بالتجدد والتحول والصدفة والاختلال واللايقين والتناقض، وهذا الكبت قد أدى إلى تعقد مهمة فهم العالم والإنسان. وأكبر خطر شكلته منظومة التبسيط، هي أنها تحاول فهم الجمع الهائل من المركبات الدينامكية والصدفوية واللايقينية للعالم، بواسطة أدوات ومناهج الاختزال والتبسيط والوضوح. لكن بعد تطور العلوم المعاصرة وظهور فيزياء الكوانطا والعلوم النسقية، أضحى ضرورة ابتكار أدوات من اجل فهم الوجه الجديد للعالم، وهي الغائبة كليا في المنظومة التقليدية.

من هنا يدعو **موران-** إلى التفكير في منهج وأدوات البحث التي من شأنها أن تضع اليد على تعقيد العالم، وترفع التحدي لمواجهة هذا التحول والتنوع والصدفوية التي تبدو في الظواهر، وطبعا هذا الإصلاح المنظوماتي للفكر يكون عبر تشكيل مفاهيمي جديد لابيستمولوجيا و أنطولوجيا جديدة هي فضاء الفكر المركب.

2-1- مفهوم الفكر المركب:

أكد موران أن ظهور مصطلح التعقيد في الفكر المعاصر كان بفضل ظهور النظريات العلمية الجديدة (نظرية الفوضى، الإعلام، والسبرنطيقا، ونظرية الأنساق العامة)، ظهرت من أجل التفكير في الظواهر ذات مستوى عالي من التعقيد، أي تلك الأنظمة التي تتركب من أجزاء أو ظواهر متفاعلة بعضها البعض، بحيث يستحيل اختزالها في أجزائها البسيطة، عموما حتى لو كانت الأجزاء المكونة لمنظومة معينة تدخل في حيز البساطة إلا أن العلاقات التي تربط بين هذه الأجزاء تتسم بطابع التعقيد.

لهذا كانت لنظريات التعقيد التي وضعها العلماء في العصر الحديث، دورا هاما في تطور المعرفة العلمية في كل مجالاتها، بحيث وضعت التعقيد في الاعتبار، كما حطمت القيود المنهجية والانطولوجية التي وضعتها أدوات منظومة التبسيط والاختزال، بالتالي الخروج إلى فضاء ابستمولوجي ومنهجي وانطولوجي جديد هو فضاء الفكر المركب. إن مفهوم الفوضى الذي جاءت به نظرية الفوضى هي فكرة محورية تعبر عن وجود اللانظام إلى جانب النظام، مما يفضي إلى القول بالعشوائية في الظواهر، كذالك أقرت السبرنطيقا بفكرة الارتداد والمراوغة واستحالة التحديد والتنبؤ، وعبرت نظرية الاتصال عن الضجيج الذي يعبر عن مبدأ اللايقين، وفكرة النسق المعقد الذي جاءت به نظرية الأنساق العامة، ونشير أن مفاهيم : اللامتوقع/ اللايقين/ الفوضى/ الضجيج/ العشوائية / النسق هي المفاهيم الأساسية التي قام عليها الفكر المركب

ينظر **موران-** إلى مصطلح التعقيد على أنه الفكرة المفتاحية التي ينبغي توجيه الفكر البشري إليها، رغم أنها بقيت فكرة هامشية في الأبحاث العلمية والفلسفية الحديثة، ولكن مع ظهور النظريات العلمية الجديدة، فتحت المجال أمام هذا المصطلح لكي يتحول إلى مشكلة أساسية، تطرح على بساط البحث .

ها هو **ادغار موران**- يبعث هذا المصطلح ويقدم له دفعا جديدا، حيث إنصب رهانه الأساسي على إصلاح المنظومة الفكرية المعاصرة، وانتشالها من العمى والجهل الذي ألت إليه بسبب المنهجية الاختزالية التي مارسته المنظومة الكلاسيكية، إذ يسعى **موران**- بدوره إلى تأسيس ابيستمولوجيا وأنطولوجيا ومنهجية جديدة، عبر تشكيل مفاهيمي جديد، حيث كان هدفه الرئيسي، الخروج من قبضة ابسيتمولوجيا التبسيط، إلى فضاء فكري مركب، يعترف أن البسيط غير موجود، وهناك المبسط فقط. بالمقابل كلمة المبسط تشير مبدئيا إلى أن الموضوع الذي يبسط، هو في حقيقة الأمر مركب، من هنا يدعو **موران-** إلى ضرورة إصلاح الفكر، عن طريق إصلاح أدوات التفكير المنطقية والمنهجية التي تتلاءم مع موضوعات مركبة متعددة الأبعاد، تتضمن في طبيعتها كل عناصر الصدفوية والفوضى، والتنوع، وغيرها من مظاهر الإختلال والإضطراب.

إن تحديد كلمة التعقيد أمر في غاية الصعوبة، لاحتوائها على معاني عديدة، فمن الناحية اللغوية نجد كلمة التعقيد مستمدة من الفعل تعقد، معقد، بمعنى كلمة تتضمن نوعا من الغموض والتعدد والالتباس، لتشير الكلمة في اللسان العربي إلى التشابك والتعقد والغموض.

أما من الناحية الاصطلاحية تشير الكلمة إلى التعدد والتشابك، كما ورد تعريفها في المعجم الفلسفي ب: **<< النسق المركب من عناصر متمايزة، منظمة بعلاقات محددة.>>**[1] إذن كلمة التعقيد التي تقابل الكلمة الفرنسية **complexity** تعبر عن الكل الذي يتميز بعناصر متنافرة ومتناقضة لكن متكاملة، بحيث يصعب الفصل بينها.

يعد مصطلح التعقيد/ المركب من بين أهم المصطلحات التي وردت بكثرة في الأعمال الفكرية للفيلسوف الفرنسي **ادغار موران -** ، حيث يستخدم هذا المصطلح في سياق مختلف تماما عن سابقيه من الفلاسفة، رغم انه يشير إلى صعوبة تعريف هذا المصطلح لتداخله مع مصطلحات أخرى.

من أول وهلة نقول أن التعقيد هو نسيج **(complexus)** : ما نسج ككل من المكونات المتنافرة المجتمعة بشكل يتعذر معه التفريق بينها. انه يطرح مفارقة الواحد والمتعدد، ثانيا بالفعل أن التعقيد هو نسيج من الأحداث والأفعال والتفاعلات والارتدادات والتحديدات والمصادفات التي تشكل عالمنا الظاهراتي. [2] من هنا يدعوا **موران -** إلى فكر مركب، يرفض الاختزال والتقسيم والفصل والعزل لان العالم يتكون من عناصر غير متجانسة ولكنها مترابطة يستحيل عزل عنصر عن باقي العناصر الأخرى.

إذن كلمة التعقيد **complexity** تعني الربط أو الجمع" نسيج ككل" والفكر المركب هو فكر الربط، من جهة ربط العناصر، ومن جهة أخرى فهمها ضمن نسقها. [3] وهكذا يسعى الفكر المركب إلى الربط ،وهو المعنى الأقرب إلى الكلمة اللاتينية **complexus** (ما هو نسيج ككل) ، ويعني هنا ما هو ضد نمط التفكير التقليدي الذي يقوم على تقسيم ميادين المعرفة إلى تخصصات، الفكر المركب هو فكر الترابط بين ميادين المعرفة"[4].

نستخلص انطلاقا من هذا التصور أن فلسفة التعقيد عند **موران -** ترمي إلى نقد منظومة التبسيط والاختزال التي هيمنة مقولاتها على الفكر الغربي، حيث يقر فيلسوفنا - في سياق قراءته للحقل العملي والفلسفي المعاصر بهيمنة منظومة البسيط انطولوجيا ومنطقيا وانثروبولوجيا، ويسلط الضوء على المنظومة العلمية كيف تأسست على كيانات مغلقة مثل الماهية والهوية والسببية، و الفصل الجذري بين الذات والموضوع. و من الناحية المنطقية تأسست على منطق توازني قام بطرد التناقض، بالرغم من ان هذه الظواهر تشكل جزءا لا يتجزأ من الواقع، إما انثروبولوجيا وسياسيا تأسست هذه المنظومة على فكرة التمركز على الثقافة والعرق والذات. [5] من هنا كان العقل العلمي يرفض كل مظاهر التناقض والتيه والاختلال من صلب الهوية، وهذا الرفض في نهاية الأمر هو إقصاء للتعقيد.إن الفكرة الأساسية التي ينطلق منها موران - في عملية التأسيس للعقل العلمي هي التسليم بمبدأ التعقيد، حيث يدعونا التعقيد للنظر إلى الواقع على انه مركب ومتكون من أجزاء، وفي نفس الوقت بلغت هذه الأجزاء درجة من الترابط يستحيل معها تفكيك هذا المركب لأجزاء، ومعنى هذا أن التعقيد يجمع في مبدأ واحد بين البساطة والتركيب، فهو في ألان نفسه يدعونا إلى قابلية التحليل نتيجة لتركيبه، وعدم القابلية للتحليل نتيجة لبساطته. [6] يقول في مقال عنوانه (نحو براديغم جديد) **ما يلي: << يمثل فكر التعقيد براديغما جديدا تولد عن حدود العلوم المعاصرة ومن تطورها معا، ولا يتخلى عن مبادئ العلم التقليدي ، بل يدمجها في خطى أوسع وأغنى ، إن التعقيد هو التحدي الأعظم للفكر المعاصر ، لأنه يستلزم إصلاحا لنمط تفكيرنا >>.**[7]

نفهم من هذا القول أن مبادئ العلم التقليدي ضرورية للعلم ، لأن المنطق ضروري للفهم والتحقق من صدق القضايا ، كما ان الفهم هو مفتاح الوصول إلى الحقيقة ، ومادام عالمنا معقد ومركب فان الأدوات المنهجية والبحثية التي كانت تستخدمها الابيستمولوجيا التقليدية لم تعد تصلح لدراسة كون يتسم بالتناقضات والمفارقات واللايقينيات، وعلى سبيل المثال نذكر أن المنطق التقليدي يرفض تماما التناقض فكان أهم مبدأ فيه هو عدم التناقض ، من هنا كان من الأمر الضروري أصلاح المنظومة الفكرية، بتجديد أدوات البحث، وكذا منهج جديد من شأنه أن يعالج ويدرس تحديات التعقيد.

2-2- مبادئ الفكر المركب:

2-2-1- مبدأ الحوار المنطقي:

يقصد موران بمبدأ الحوار المنطقي dialogic ، مبدأ يجمع بين مفهومين أو تصورين متعارضين، يبدو أنهما متناقضين، ولكنهما متلاحمين وضروريان لفهم نفس الواقعة.[8] ، نشير هنا أن **موران-** استمد هذا المصطلح من كلمة الديالكتيك التي جاء بها الفيلسوف الألماني هيغل، لان مبدأ الحوار المنطقي مبني أساسا على فكرة الجمع بين المتعارضان أي الاعتراف بالمتناقضان على أنهما متكاملان، يقول موران:" اكتشفت عند هيغل فكرا يقبل ويتحمل التناقض، الذي يتطور في تعارض الأفكار بصفة دائمة، بحيث يجد باستمرار تعارض جديد، يحاول هذا التعارض أن يدمج موضوعات الفكر دون العزل أو الفصل بينهما. [9]

إذن الحوارية هي وحدة معقدة بين منطقين، وكيانين متعارضين يغذي ويكمل احدهما الأخر، لكنهما يتعارضان يتحاربان أيضا، لكن يجب التمييز بين هذا المبدأ و **الديالكتيك الهيغلي** Hegelian dialectic ، فعند **هيغل**، تجد المتناقضات حلولا لها، ويتجاوز بعضها البعض، كما يلغي بعضها بعضا داخل وحدة عليا، لكن في الحوارية، تكون المتناقضات دائمة وتشكل ظواهر معقدة. [10] يكمن الفرق بين الديالكتيك والحوارية في أن الأول يتجاوز التناقض عن طريق المركب، بينما الحوارية يتكامل فيها ويتعايش المتناقضان، إذن يمكن أن يحدد هذا المبدأ على انه الاجتماع المركب بين(التكامل/ التنافس/ التعارض) الضروري لفهم الوجود والظواهر.[11] من هنا يكون الحوار المنطقي اجتماع تكاملي بين المتعارضين، حيث يمكننا من الربط بين أفكار تتناقض فيما بينها.

يقدم **موران**- مثالا على ذلك: فكرة الحياة والموت، تبدي تعارض شديد، حتى انه لا يوجد ما هو متعارض أكثر منهما، كان بيشا **bichat** يعرف الحياة على أنها مجموعة وظائف تقاوم الموت، لكن نفهم اليوم أن نظام الحياة يستخدم موت بعض الخلايا، لكي تحيا وتتجدد خلايا أخرى، إذن يمكن القول أن الحياة تستخدم الموت في ذاتها. [12] يكمن الدور الأساسي لهذا المبدأ حسب موران في انه يمكن من الحفاظ على التعارض داخل الوحدة، انه يجمع بين حدين متكاملين ومتعارضين في الوقت نفسه، حيث نجد الاستقرار والاختلال عدوان لبعضهما البعض، فكل طرف يلغي الأخر، ولكنهما في الوقت ذاته يتعاونان معا وينتجان التنظيم والتعقيد. [13] لهذا فكل منطق يقصي التناقض هو منطق عقيم، نحتاج إلى تجديده بمنطق أخر يستوعب براديغم التعقيد.

2-2-2- مبدأ التكرار التنظيمي :

يعتبر الارتداد التنظيميrécurions احد أهم المبادئ التي يقوم عليها براديغم التعقيد، لتحديد هذا المصطلح، نأخذ مثال الزوبعة فهي في كل لحظة منتجة ومنتجة في نفس الوقت، إن سيرورة الارتدادية تتمثل في أن المنتوجات والنتائج هي في الوقت ذاته عللا منتجة لما ينتجها. [14] لهذا تكون الأسباب والنتائج متساوية، فليس هناك فاعلا مطلقا، ولا منفعلا مطلقا، وإنما كل منهما فاعلا ومنفعلا في نفس الوقت، يقول **موران-:**

<< لا يجب النظر اليوم إلى كل عمليات الدماغ على أنها قائمة على فكرة التفاعل فقط، بل هي أيضا عملية ردود أفعال، يعني ذلك أن السيرورة ارتدادية، أين تكون النتائج لها ردود أفعال على عللها>>.[15]

يرى **موران**- أن أحسن مثال يصادفنا ها هنا لتوضيح هذه الفكرة هو مثال (الفرد والنوع والتوالد) إذ إننا نشكل، نحن الأفراد نتاجا لمسار توالدي سابق علينا، ولكن ما إن أصبحنا منتوجا حتى نصبح منتجين لمسار سيستمر، إن هذه الفكرة صالحة أيضا سوسيولوجيا sociology ، إذ أن المجتمع ينتج بواسطة التفاعلات بين الأفراد، ولكن المجتمع ما إن ينتج حتى يرتد على الأفراد وينتجهم، وإذا لم يوجد المجتمع والثقافة واللغة والمعرفة المكتسبة، فلن يكون هناك أفراد إنسانيون، بعبارة أخرى، ينتج الأفراد المجتمع الذي ينتج بدوره الأفراد. [16] وهكذا يكون مبدأ التكرار التنظيمي مبدأ يتجاوز رد الفعل الراجع،

ويتجاوز مفهوم التقنين إلى مفهومي الإنتاج الذاتي والتنظيم الذاتي، انه عبارة عن حلقة مولدة تكون فيها المنتوجات والنتائج نفسه مبدعة لما ينتجها، من هنا الأفراد منتوجات لإنتاج متجذر في أعماق التاريخ، غير أن هذا النسق يستمر عن طريق التزاوج، ينتج أفراد الإنسانية المجتمع ضمن التفاعل بواسطته، بيد أن المجتمع ينتج الإنسانية، باعتبارها كلا منبثقا من هؤلاء الأفراد ويمدهم باللغة والثقافة..[17] وعليه يكون كل منتوج منتجا لذاته ولذات أخرى، فالابن على سبيل المثال هو نتاج من جينات أبيه، وسيكون في المستقبل منتجا لابنه، عن طريق بعث جيناته هو الأخر، وكذا ثقافة الفرد يأخذها من مجتمعه، ويساهم هو الأخر في تشكيل ثقافة مجتمعه عبر إبداعه.

2-2-3- مبدا النحو العام:

يمثل مبدأ الهولوغرام hologrammatic من أهم المبادئ التي قام عليه براديغم التعقيد، يدل على أن كل نسق موجود في عالم معقد، ليس فقط الجزء هو الذي يوجد داخل الكل، بل الكل أيضا يوجد داخل الجزء، وليس الفرد فقط من يوجد داخل المجتمع، بل المجتمع أيضا يوجد داخل الفرد، مادام المجتمع يغرس فيه اللغة والثقافة والقيم، منذ الولادة.[18] وفي هذا السياق يقول موران: **<< الهولوغرام تمثل صورة تنظم كل نقطة فيها مجمل المعلومات المتصلة بالشيء الممثل، و لا يعني المبدأ الهولوغرامي أن الجزء داخل الكل فحسب، بل ان الكل داخل الجزء على نحو ما، إذ تضم الخلية مجمل المعلومات الوراثية، مما ينتج مبدئيا الاستنساخ البشري، والمجتمع بصفته كلا بثقافته حاضر في ذهن كل فرد >>.** [19] تكمن أهمية هذا المبدأ في توضيح المفارقة الظاهرة لبعض الأنساق، حيث لا يوجد الجزء فقط ضمن الكل، بل يوجد الكل أيضا ضمن الجزء، ذلك إن كل خلية هي جزء من الكل- الجهاز العضوي الشامل، بل إن الكل ذاته يوجد داخل الجزء، يوجد الخبر الوراثي الكلي في كل خلية فردية على حدة، وبالمثل يشكل الفرد جزءا من المجتمع، لكن المجتمع يوجد أيضا في كل فرد باعتباره كلا، من خلال اللغة والثقافة ومعاييره. [20] ليكون الهولوغرام هو مبدأ نقدي لمبدأ الكلية الحداثي الذي يعتبر انه لا علم إلا بالكليات، يقول موران-: **<< تتجاوز فكرة الهولوغرام النزعة الاختزالية التي لا ترى سوى الأجزاء، والنزعة الكلية التي لا ترى سوى الكل، إنها إلى حد ما، الفكرة التي صاغها باسكال blaise pascal : لا يمكنني تمثل الكل دون تمثل الأجزاء ولا تمثل الجزء دون تمثل الكل.>>**[21]

من هنا نلاحظ أن فلسفة التعقيد تقيم المساواة بين الجزء والكل، ولا وجود لمركزية احدهما على الأخر. و تقوم هذه الفكرة المناقضة في الظاهر على شل الفكر الخطي، ومع ذلك نعلم انه في المنطق الارتدادي ما نعرفه حول الأجزاء يعود على الكل، وما نتعلمه بصدد الخاصيات المنبثقة الخاصة بالكل، الكل الذي لا يوجد بدون تنظيم، يعود على الأجزاء، لذلك بالإمكان اغناء المعرفة بالأجزاء بواسطة الكل، والمعرفة بالكل بواسطة الأجزاء، وذلك داخل نفس الحركة المنتجة للمعارف. [22] وعليه تكون فكرة الهولوغرام هي ذاتها مرتبطة بالفكرة الارتدادية ، التي بدورها مرتبطة بمبدأ الحوار المنطقي.

يرى **موران-** أن موضوعات الفكر(العالم/الإنسان) تتسم بطابع التعقيد، أي خليط لامتناهي لتفاعل الارتدادات، وتضامن الظواهر مع بعضها البعض، وعدم اتضاح الروية واللايقين، والتناقض. [23] أي التعقيد يعبر عن عدم القدرة على الفهم والشرح والتفسير الواضح، وكل هذا يعد تحدي يجب على الفكر المعاصر مجابهته، هنا تكمن في نظر موران- ضرورة الفكر المركب الذي يستبدل منظومة الفصل/ الاختزال/ إضفاء البعد الأحادي، بمنظومة التمييز/ الوصل التي تسمح بالتمييز من دون الفصل، وبالتجميع من دون المطابقة آو الاختزال ، فالعقلانية الكلاسيكية التي هي عقلانية خاطئة، في نظر موران- على الذكاء الغير المكتمل الذي يقسم ويجزئ ويعزل ما هو مترابط ومتصل ويختزل ما هو متعدد الأبعاد في أحادي البعد، مما أدى إلى استحالة التفكير في التعقيد، وكذا الفهم الجيد لموضوعات الفكر.

3- الفكر المركب مجل التفكير التبسيطي:

كان العقل الغربي ضمن المنظومة الفكرية الكلاسيكية يعزل ويفصل العلوم إلى تخصصات متناثرة، منفصلة بعضها عن البعض، الأمر الذي أدى في النهاية إلى اعتلال الحضارة الغربية على المستوى العلمي والفلسفي، التبسيطية كانت تدرس

الظواهر عن طريق تجزيئها واختزالها، وقد كان هذا التجزأ لا يقتصر فقط على بعضها البعض، بل أيضا تعزلها عن محيطها وملاحظها، وبنفس القدر كان الفكر التجزيئي يعزل التخصصات عن بعضها البعض.(24)

ليأتي **موران-** ويقترح الفكر المركب كبديل للفكر التبسيطي، وكانت غايته الأساسية تحقيق وحدة العلم والمعرفة، حيث اشتغل على إمكانية وضرورة وحدة العلم، واجتثاث العلوم المعرفية من دائرة التخصص الفائق، أين حصرته المنظومة الكلاسيكية، بالفعل عمل العلم التقليدي على تجزئة العلوم إلى تخصصات، حيث يهتم كل تخصص بموضوع خاص به. يقول: " على كل حال فنحن نحتاج إلى مبدأ تفسيري أكثر ثراء من مبدأ التبسيط (التجزيئي/ الاختزالي)، وهذا ما يمكن أن نسميه مبدأ التعقيد **principe de complexité** الذي يتأسس على ضرورة التمييز و التحليل مع البحث عن إمكانية الربط بين ما تم تمييزه وتقسيمه بين الموضوع ومحيطه، بين الشيء الملاحظ وملاحظه."(25)

لهذا ارتأى **موران-** إلى البحث عن إمكانية تحقيق وحدة العلم، غير أنه يشير أن هذه المهمة تبدو في غاية الصعوبة، أو بالكاد تكون مستحيلة، بسبب تراكم عدد لا يحصى من المعطيات داخل التجويفات التخصصية الضيقة والمنغلقة أكثر فأكثر.

<< إنها مستحيلة داخل الإطار الذي تبدو فيه التخصصات الكبرى تطابق جواهر ومواد متناثرة (الفيزيائي، والبيولوجي و الانتروبولوجي) >>.(26)

ينظر **موران-** إلى توحيد العلم والمعرفة كمبدأ أساسي للفكر المركب، ولكن لا يكون لمثل هذا التوحيد معنى إذا ما كان اختزاليا، أي عندما يختزل في مستوى التنظيم الأكثر بساطة، ظواهر التنظيم المركبة، غير أن التوحيد يمكن أن يكون له معنى أذا كان قادرا على أن يدرك الوحدة والتعدد والتنوع والاستمرارية في نفس الوقت.

يمكن تحقيق الوحدة والتنوع داخل النسق، لان الكل يتحدد وفق التنظيم الذاتي الذي يطال العناصر المكونة للكل، وهذا التنظيم يعبر عن الوحدة، وهنا يشير موران- إلى ضرورة فكرة النسق، وكذا تعميمها على مختلف التخصصات، **<< النسق هو مجموع يتكون من أجزاء مختلفة عن بعها البعض، و الأكثر من ذلك هناك وحدة داخل التعدد و تعدد داخل الوحدة، ليعبر النسق عن كيان معقد ومركب، وأنا استخدم كلمة التنظيم أكثر من النسق، لان التنظيم هو الذي يحول مجموع الأجزاء إلى كل. >> (27)**

من هنا نفهم أن تحقيق وحدة العلم تستلزم تجاوز التخصصات المعرفية ، وأي نظرية إذا أرادت أن تكون أساسية عليها أن تتفادى دائرة التخصص، لهذا يقترح **موران-** الفكر المركب كسبيل لتحقيق هذه الوحدة، انطلاقا من الفكرة الأساسية أن المركب يعترف بالوحدة والتنوع في ألان نفسه، عكس الفكر الاختزالي الذي يرى إما الوحدة وإما التعدد، وكان على جهل أن الواحد يمكن أن يكون متعدد في نفس الوقت.

يتصور موران- الفكر المركب على انه فكر الربط بين المعارف، بالتالي وضع الحد للتخصص الذي شمل جل العلوم المعرفية، لاقتناعه أن التخصص يمثل سبب اللايقين والثغرة والفتحة في مفهوم العلم، حيث أن كل ادعاء بتعريف العلم هو ادعاء غير علمي، يقول موران:

<< أصرح اليوم بأن العلم أصابه العمى بسبب التخصص، العمى الذي يظهر في عجزه عن أن يدمج و يمفصل وان يفكر في معارفه الخاصة، وإذا كان الفكر البشري غير قادر على إدراك المجموع الهائل للمعرفة التخصصية، آنذاك إما يجب تغيير الفكر البشري، وإما تغيير المعرفة المجزأة إلى تخصصات>>.(28)

تفترض وحدة العلم الجديدة في نظره، عودة المقولات المطرودة في القرنين الثامن والتاسع عشر، التي تعاود الاندماج في مختلف تخصصات العلوم، و يتعلق الأمر هنا بحضور المصادفة **le hasard** ولكن بدمجها سواء في خاصية اللاتوقع، أو الحدث، حيث يتماثل خاصيتها الجذرية ومتعددة الأبعاد بوصفها مفهوما غير قابل للاختزال. وكما كان معلوم فقد رفض

العلم الكلاسيكي الحدث والمصادفة والفردي، وكل محاولة لإعادة دمجها لم تكن لتبدو إلا مضادة للعلم في إطار المنظومة القديمة.[29] و هكذا فالعلم الجديد يقترح ببساطة أن يكون الموضوع ملائما للعلم، وعلى العلم أيضا أن يكون ملائما بموضوعه. والعلم الجديد لا يدمر البدائل الكلاسيكية، انه لا يأتي بحل أحادي سيكون بمثابة جوهر للحقيقة، غير أن الفكر المركب يقدم علما قائما على مفاهيم متنافسة ومتناقضة، لكنها في نفس الوقت متكاملة داخل رؤية أكثر اتساعا عليها أن تواجه بدائل جديدة.

في النهاية يدعو **موران** - إلى ضرورة تغيير البراديغم الذي يحكم أفكارنا، بالتالي الانتقال من المنظومة الاختزالية إلى منظومة الفكر المركب، منظومة تفتح المجال أمام الوحدة والتعدد، الاختلاف، الصدفة، الاختلال، اللايقين والتناقض،يقول: **<< نحن في زمن بحاجة إلى تغيير البراديغم، يستبدل الفصل والعزل والاختزال، بالربط والجمع، بمعنى التمييز والربط، وهذا ما اسميه براديغم التعقيد، كبديل لمنظومة التبسيط.>>**[30]

في الأخير ، يمكن القول أن الفكر المركب الذي يقترحه **موران-** كمنظومة جديدة ترفض كل عمليات الفصل والعزل والتجزيء بين الذات والموضوع، وبين مجالات العلوم المعرفية، بالمقابل يدعوا إلى ضرورة ربط الصلة بين مختلف العلوم، من اجل التأسيس لمعرفة المعرفة. من هنا نفهم أن تحقيق وحدة العلم تستلزم تجاوز التخصصات المعرفية ، وأي نظرية إذا أرادت أن تكون أساسية عليها أن تتفادى دائرة التخصص، لهذا يقترح **موران-** الفكر المركب كسبيل لتحقيق هذه الوحدة، انطلاقا من الفكرة الأساسية أن المركب يعترف بالوحدة والتنوع في ألان نفسه، عكس الفكر الاختزالي الذي يرى إما الوحدة وإما التعدد، وكان على جهل أن الواحد يمكن أن يكون متعدد في نفس الوقت.

3- النتائج:

بعدما تطرقنا في هذا الفصل إلى تبيان حقيقة التعقيد التي تميز العالم والإنسان على حد سواء، وبينا كيف أن التعقيد يمثل مشكلة وتحدي ينبغي على الفكر المعاصر مواجهته والاعتراف به، كما رأينا أن الفكر المركب هو نمط فكري جديد يساعد حسب موران- على التفكير الجيد، وطريقة لمواجهة العمى واللايقين، لهذا توصلنا إلى مجموعة من النتائج تتمثل في النقاط التالية:

- التعقيد يمثل مشكلة وتحدي الفكر المعاصر، تبلورت هذه المشكلة وظهرت إلى الحقل العلمي والفلسفي نتيجة الاكتشافات الجديدة التي توصلت إليها بعض العلوم، خاصة الفيزياء والرياضيات والكيمياء والبيولوجيا، كما يعود الفضل في ذلك إلى النظريات العلمية الأربعة (الفوضى، السبرنطيقا، الإعلام والاتصال، نظرية الأنساق العامة)، هذه الأخيرة عبرت عن التعقيد بكل أشكاله.

- كانت المنظومة الغربية تشكل خطر كبير باتخاذها النموذج التبسيطي الذي يقوم على اختزال الكون والإنسان في المفاهيم والكيانات المغلقة، مما عرقل طريقة التفكير، بالتالي سوء فهم العالم والإنسان.

- يمثل الفكر المركب الأطروحة المركزية عند **ادغار موران-** حاول من خلاله تقديم بديل لابيستمولوجيا التبسيط التي سيطرت على العقل الغربي منذ قرون، بالتالي يعتقد موران أن فكر التعقيد يمثل المفتاح الرئيسي لفهم موضوعات الفكر، فهمها داخل سياقها وتداخلاتها، دون عزلها وفصلها.

- الفكر المركب عند **موران-** هو إصلاح مفاهيمي جديد، يتمثل في إصلاح موضوعات الفكر التي تشتمل المعرفة والإنسان، بالتالي حاول تقديم مفهوم مركب عن المعرفة والإنسان.

4- خاتمة:

من كل ما سبق نستنتج أن الفكر المركب يمثل الأطروحة المركزية في فكر **ادغار موران**- كبديل لفكر التبسيط الذي سيطرة على الخطاب العلمي و الفلسفي، والمنهجي، لمدة زمنية طويلة، حيث مارس منهجية الفصل والعزل والاختزال، مما أدى إلى تعذر فهم المشاكل الراهنة للعالم، لهذا يقترح الفكر المركب كمنهج يساعدنا على إعادة التفكير في عالمنا، انطلاقا من تغيير أدوات تفكيرنا.

إن الخطاب الابيستمولوجي الذي يقدمه موران- هو خطاب أصيل، يعتمد أساسا على نتائج النظريات العلمية الجديدة، التي تنحو في مجملها في مجرى التعقيد، خطاب حمل على عاتقه إبراز نقص وقصور وعيوب الابيستمولوجية الكلاسيكية، وعدم إمكانيتها فهم الواقع الطبيعي والإنساني، الذي من خصائصه التعقيد، والاختلال والتعدد. ليكون الفكر المركب هو فكر الربط بين مجالات المعرفة الإنسانية، ويدعو إلى تجاوز النظرة التجزئية التي تعزل موضوع المعرفة عن سياقه العام والشمولي، كما يرفض موران- كل نزعة تفصل موضوع المعرفة عن الذات العارفة، لان الذات هي أيضا موضوع للمعرفة، وعدم الأخذ بهذه الحقيقة أدى في النهاية إلى ثقوب معرفية سوداء.

في النهاية يدعو **موران** - إلى ضرورة تغيير البراديغم الذي يحكم أفكارنا، بالتالي الانتقال من المنظومة الاختزالية إلى منظومة الفكر المركب، منظومة تفتح المجال أمام الوحدة والتعدد، الاختلاف، الصدفة، الاختلال، اللايقين والتناقض،أي نحن في زمن بحاجة إلى تغيير البراديغم، يستبدل الفصل والعزل والاختزال، بالربط والجمع، بمعنى التمييز والربط، وهذا ما اسميه براديغم التعقيد، كبديل لمنظومة التبسيط.

في الأخير ، يمكن القول أن الفكر المركب الذي يقترحه **موران-** كمنظومة جديدة ترفض كل عمليات الفصل والعزل والتجزيء بين الذات والموضوع، وبين مجالات العلوم المعرفية، بالمقابل يدعوا إلى ضرورة ربط الصلة بين مختلف العلوم، من اجل التأسيس لمعرفة المعرفة.

قائمة المصادر والمراجع:

([1]) - اندري لالاند **الموسوعة الفلسفية**، ترجمة احمد خليل، عويدات للنشر، بيروت، لبنان ، ط2، 2001 ص 189.

([2])- Nelson Vallejo- Gomez ’**Edgar Morin, la pensée complexe** , (synergies monde) n^0 4- 2008,p 249.
([3])- Edgar Morin, **penser global**, éditions Flammarion, paris, , 2016, p 116.
([4])- Edgar Morin ’ **introduction a la pensée complexe**, , édition seuil, paris France,2005· p 21.

([5])- ادغار موران، **الفكر والمستقبل** ، تر- احمد القصوار ومحمد المحجوبي ، دار طوبقال للنشر، المغرب الطبعة الأولى، 2004ص ص 5-6.

([6])- سعيدي عبد الفتاح، **نقد العقل العلمي الحداثي عند موران** ، ،(مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 26) ،2016.، ص 347.

([7])- ادغار موران **نحو براديغم جديد** ترجمة يوسف تيبس (مجلة رؤى تربوية – العدد 29) ، ب-س.ص 119.

([8])- Edgar Morin et luis le moigne**, l’intelligence de la complexité** éditions l’harmattan, paris, France ,1999**.** , p 328.
([9])- Edgar Morin, **mes philosophes**, éditions germina, France, 2011, p 71.
([10])- Edgar Morin, **la méthode- l’humanité de l’humanité**, suil, France 2001,p-p 347-348.
([11])- Edgar Morin , **la méthode- la connaissance de la connaissance**, suil,paris France, 1986 p98.
([12])- Edgar Morin, **enseigner a vivre**, actes sud/ play bac, paris, France, 2014, p80.
([13])- Edgar Morin, **introduction a la pensée complexe** édition seuil, paris France,2005·, p99.
([14])- ibid., p99.
([15])- Edgar Morin , **la méthode- la connaissance de la connaissance** p100.
([16])- Edgar Morin, **introduction a la pensée complexe**, op, p100.

([17])- Edgar Morin et luis le moigne**, l'intelligence de la complexité** p-p 328-329.
([18])- Edgar Morin, **enseigner a vivre**, op, p81.
([19])- Edgar Morin, **la méthode- l'humanité de l'humanité**, p 349.
[20])- r Morin et le moigne**, l'intelligence de la complexité**, p-p 328-329.
([21])- Edgar Morin, **introduction a la pensée complexe**, op, p100.
([22])- ibid. , p 101.
([**23**])- Edgar Morin, **introduction a la pensée complexe**, ibid., p22.
([24])- Edgar Morin, **science avec conscience** , op.cit , p 26 .
([25])- Ibid. p 27 .

([26])- إدغار ر موران، **مدخل الى الفكر المركب**، ص 52.

([27])- Edgar Morin, **penser global** , op.cit , p 115.

([28])- إدغار موران ، **مدخل إلى الفكر المركب** ، ص 53.

([29])- المصدر نفسه، ص 54.

([30])- Edgar Morin, **penser global**, p 127.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

د.فاهم بن عاشور (2023) ، **براديغم التعقيد عند ادغار موران** ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 15(01)/2023، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة، (ص.ص 171- 180).